مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التعليم القرآني في مساجد بني سنوس...هوية تصارع الزمن

Quranic education in the mosques of Beni Snous…a religious identity that wrestles with time.

بن شراط نجاة*[1]

[1]جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان –

hmadhamza112233@gmail.com

د.بوحسون العربي[2]

[2]جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان –

Bouhassoun larbi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/10/10 تاريخ القبول: 2020/11/01

ملخص:

يتلخص فحوي هذا الموضوع في محاولة وضع مقاربة تشمل جانبا اجتماعيا و آخر أنثروبولوجيا في سياق تاريخي، يسلط الضوء علي أحدي أعرق الخصوصيات الثقافية الدينية في منطقة بني سنوس ، و التي لا زالت لحد الآن مركزا للإشعاع الديني والثقافي و التربوي ، فبالرغم من تجليات العولمة التي ألقت بظلالها علي كل شيء بقيت تصارع تغيرات الزمن المتسارعة ، في خضم من الغزو الثقافي ، ذلك هو التعليم القرآني بمساجد بني سنوس ، وهذا بالإشارة إلى بعض من خصائصه و أدواره داخل النسق الثقافي و الاجتماعي لهذا المجتمع المحافظ بطبعه ، في محاولة مقارنة لوضع القارئ في صورة ما كان عليه وما آل إليه هذا الموروث الثقافي الديني الأصيل ، مع تتبع لسياقه التاريخي عبر الزمن ، وخاصة تسليط الضوء على وصف بعض الطقوس المرتبطة بطلاب الكتاتيب القرآنية و التي نعتقد أنها آيلة للزوال .

الكلمات الدالة : التعليم القرآني ، مساجد بنى سنوس ، طقوس دينية ، كتاتيب القرآنية .

Abstract:

The content of this topic is summarized in an attempt to place an approach that includes a social aspect and another anthropology in a historical context, which highlights one of the oldest cultural and religious peculiarities of the Beni Snous region, which is still until now a religious, cultural and educational center, despite the manifestations of globalization which have cast their shadows. Above all, he continued to struggle with the changes of the weather, in the midst of the cultural

*المؤلف المرسل: بن شراط نجاة، الايميل: hmadhamza112233@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

invasion falling on all sides, it mains Quranic teaching in the mosques of Beni Snous, and this with reference to some of its characteristics and roles within the cultural and social order of this conservative society, in an attempt to put the reader in the image of who he was and what has become of this authentic religious cultural heritage, with a tracing its historical context through time, highlighting in particular some of the rituals associated with students in Quranic schools, which we believe to be perishable.

Keywords: Quranic education ; Beni Snous mosques ; religious rituals ; quranic schools .

مقدمة:

بما أن للتربية والتنشئة الاجتماعية للنشء مكانة هامة جدا و أولوية كبيرة من أولويات المجتمع ،يولي السنوسيون تنشئة أبنائهم على القيم الإسلامية والتعاليم الدينية أهمية كبيرة جدا وفي سن مبكرة جدا، و لعل أهم خطوه يقومون بها هو إلحاق أبنائهم بالكتاتيب القرآنية بمجرد تمكنهم من إتقان النطق ببعض الكلمات ، نتيجة لتقديسهم وحبهم الشديد للقرآن.و قد لا نكاد نجد طفلا سنوسيا لم يمر بهذه المرحلة التي تعد أهم فترة يتآلف فيها مع مجتمعه الأكبر ويحتك بأقرانه ، ويتعلم أصول التربية الدينية ويحفظ بضع آيات ويتعلم فيها الحروف والأرقام وبعض كلمات، ليصل شيئا فشيئا إلى الكتابة و حل بعض العمليات الحسابية البسيطة و قواعد اللغة العربية و صولا إلى إتقان الكتابة والقراءة.

فحب السنوسيين وتمسكهم بالإسلام يدفعهم إلي التفكير و الحرص علي أن يحفظ أبناؤهم كتاب الله وتلك الغاية المنشودة لكل مسلم غيور على دينه ،لما يحضى به الحفاظ من رفعة و مكانة محترمة بين الناس و لما يميزهم من أخلاق و تربية حسنة و تنشئة سليمة و تفوق دراسي . ويمكننا اعتبار الكتاتيب القرآنية شكلا تعليميا يتلقى فيه الطفل المبادئ الأولية للولوج إلي عالم العلم والمعرفة،لذا فهو مرحله حساسة جدا تضع القواعد الرئيسية والأسس التربوية التي ستبنى عليها تنشئة هذا الطفل الروحية و الدينية مستقبلا.لدى آثرنا كهدف لهذه الورقة البحثية وضع مقاربة حول التعليم الديني و القرآني في منطقة بني سنوس في سياق تاريخي موضوعي يوضح خصوصياته داخل النسق الاجتماعي ،ومحاولة إبراز جانب مشرق من الثقافة الدينية الصامدة المحافظة علي بقايا هوية تتلاشي بمرور الزمن.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: مفاهيم و مصطلحات:

1. التعريف الاصطلاحي للثقافة الإسلامية:

مع اختلاف المعرفين لها خاصة مع اختلاف خصوصيات ثقافة كل امة فقد يكون هذا التعريف الجامع هو الأنسب لها:"فهي مجموعة المعارف و المعلومات النظرية،و الخبرات العلمية المستمدة من القرآن و السنة النبوية،التي يكتسبها الإنسان،ويحدد على ضوئها طريقة تفكيره،ومنهج سلوكه في الحياة" (مسلم و الزغبي، 2007، صفحة 18).

2. المسجد:

اصطلاحا:"يشير مصطلح المسجِد (بالكسر) لمكان السجود, و المسجد (بالفتح) جبهة الرجل التي تلامس الأرض بالسجود, والمسجد (بكسر الميم) الخُمر وهى الحصير أو السجادة التي يصلى عليها".

من الناحية الشرعية: يعرف المسجد بالموقع الذي يسجد فيه الإنسان وهو المسجد. وعلى هذا فالأرض كلها مسجد لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) , كما سمي المسجد أيضاً (بالجامع) لأنه يجمع الناس لمناقشة كل القضايا التي تهمهم في حياتهم. فهو معبد تؤدى فيه الصلوات وتهذب فيه النفوس, ومدرسة يتعلم فيها المسلمون, ودار للشورى تناقش فيها قضايا الأمة , وقاعدة حربية تنطلق منها الجيوش, ودار للقضاء والإفتاء والدعوة والإرشاد (محمود، 2002).

"و هو مكان للعبادة و مدرسة لتعليم الناس القرآن و الكتابة و تحفيظهم كتاب الله، و هو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، فهي مركز إعلامي للإسلام ، و ملجأ لمن لا ملجأ له" (تراري، 2012، صفحة 57).

3. تعريف المدرسة القرآنية:

هي أقل وحدة في التعليم الابتدائي وكانت هذه المؤسسات تعلم وتربي الأطفال على ضوء وهدى القواعد الإسلامية وعلى حفظ النمط الاجتماعي المحدد ، وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتساهم في إعطاء قسط من المعارف والتي تساعد في بناء و إنماء منظومة ثقافية ودينية في المجتمع إلى جانب ذلك كانت المدارس تعد شعبا متخصصا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين.إضافة إلى حفظ القرآن الكريم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما أن التعليم فيها يمرن اللسان على الفصاحة والقراءة ثم الكتابة من خلال الاعتناء بالخط (أبو القاسم، 1981، صفحة 277).

4. الكتاتيب القرآنية :

هي عبارة "عن حجرة أو بناء صغير ملحق بالمساجد أو مستقل عنها،تعني بتعليم الناشئة أصول القرآن الكريم وتحفيظه لهم وتعلمهم مبادئ القراءة والكتابة ،وقواعد الدين الإسلامي، وغرس العقيدة الصحيحة والعادات الحسنة ، ووضع الأسس للبناء الروحي والأخلاقي للأفراد وبذلك الحفاظ على مقومات الشخصية الإسلامية للطفل ،وتثقيف الصغار وتربيتهم التربية الإسلامية. وهي : جمع كتاب و هو مكان التعليم الأساسي وكان يقام غالبا بجوار المسجد،لتعليم القراءة و الكتابة و القرآن الكريم و شيء من العلوم الشرعية و العربية و التاريخ و الرياضيات و هو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم (حسن عبد الغني، 2009، صفحة 201).

5. الزوايا :

فيرجع نظام الزوايا تاريخيا في بلاد المغرب العربي ق.5 هجري ، فقد عرفت" بدار الكرامة" في العهد الموحدي، ودار الضيف في العهد المر يني... ويعرفها" دوماس" في كتابه "منطقة القبائل" (1847) " الزاوية مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وتحتوي على مصلى وغرفة تلاوة القرآن ومدرسة لتحفيظه، وتلقين العلوم ، ومراقد للطلبة والمريدين والضيوف والحجاج والمسافرين، وأخرى لتخزين الغذاء والطهي والطعام وإيواء الحيوانات " (عباس، 2013، صفحة 40) ، وقد انتشرت بالعهد العثماني وهي بطبيعتها المزدوجة ثقافة عالمة ، فقهية سنية ، مرنة ، وثقافة شعبية رمزية طقسية صوفية ، عجائبية تؤثر في العقل المستعد للانقياد ، وفي الوجدان" (الغالي، 2008، الصفحات 27-29).

و قد ظهرت الزوايا كمؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها ، نتيجة التخلف و الجهل، و انتشار ظاهرة الزهد عن الدنيا ، و الانشغال بالآخرة ، و انتشرت على نطاق واسع في المدن و القرى خاصة في العهد التركي ، و الزاوية هي بيت أو مجموعة من البيوت التي بناها بعض المحسنين لإيواء الضيوف، و قراءة القرآن، و ذكر الله . وتشمل مهام الزوايا التربية و التعليم، كما أنها مركز إيواء للغرباء و الفقراء وعابري السبيل، وكانت ملاجئ للمجاهدين و الفدائيين أيام الثورة ضد فرنسا (تراري، 2012، صفحة 57).

وقد عرفها البعض في مراجعهم على أنها في الأصل ركن البناء ، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي ، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى و لازال هذا المصطلح منتشرا ليومنا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هذا ، وهي من الهياكل التي ترسخت في ثقافتنا الشعبية عبر الزمن وأوجدها الصالحون لتعليم القران وعلومه ، وهي أماكن تتكفل بإطعام وإيواء طلبتها الغرباء مجانا ، وهي بناء ذو حجرات تختلف وظائفها ، فمنها ما يخصص للتعلم ومنها للنوم أو الطبخ وغيرها.

والزاوية في بني سنوس هي زاوية الشيخ السنوسي:الولي الصالح سيدي محمد بن يوسف بن شعيب السنوسي،من عرش "**الرْحَامْنَة**" المعروف في الصحراء الجزائرية ، و الذي يمتد نسبه إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكان لها مريدون وطلبة لم يعد لها وجود في حاضرنا.

ثانيا: تاريخ الكتاتيب القرآنية

من المعلوم أن النمط العام في التعليم في المجتمعات الريفية هو التعليم الديني ، وفي هذا المجال فقد أوضحت دراسات "فورمان" في المجتمعات الريفية في البرازيل أن الوسيلة الوحيدة للتعليم في القرية البرازيلية هي (الفاجا) وهو مكان يشبه الكتاب في الدول العربية ، يقوم من خلاله رجل الدين بتعليم أبناء القرية النواحي الدينية إلى جانب تعليمهم أصول اللغة ومبادئ الحساب .وفي إيران قام ***انجليش*** "English" بدراسة المجتمعات الريفية بمنطقه "كيرمان" وتوصل من خلالها إلى أهمية التعليم الديني حيث يرسل الآباء أطفالهم إلى "الماكتاب" بحيث يتعلمون التعليم الديني. وفي تركيا أوضحت دراسات "***بول ستريلنج*** " Paul strilling" في قرية "**الياس**" أن التعليم الديني يمثل مكانة عالية داخل القرية وفي المجتمعات الريفية.وفي مصر فقد أوضحت دراسات "حامد عمار" و"عاطف غيث" أن الكتاب يمثل النسق التقليدي للتعليم في مجتمع القرية المصرية (أبو طاحون، 1997، صفحة 67).

وذكرت كثير من المراجع أن التعليم الذي كانت ترعاه الأوقاف كان على ثلاث مستويات : ابتدائي ثانوي وعالي ، وكان في كل قرية صغيرة دوار، خيمة تدعى "الشريعة" خاصة بتعليم الصغار أما في المدن والقرى الكبيرة فكانت هناك مدارس تدعى "المسيد" أو "مكتب" والى جانب كل جامع كانت هناك مدرسة للتعليم تقريبا (سعد الله، 1977، صفحة 313).

وقال ***ابن باديس*** في هذا الشأن : "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار و لم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار" (تركي، 1981، صفحة 79).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فالأوقاف و الأحباس كانت هي المصدر الأساسي لتمويل التعليم والمعلمين والمكتبات والمساجد وحتى الحركة العلمية ككل ، فيها توفر أجور عالية للمعلمين و المداخيل الجيدة. وكما في المدن كان في الأرياف ، فالتعليم جزء أساسي من حياة الناس فالمعلم والمتعلم يحظيان بتقدير واحترام الجميع وهذا ارتباط حب العلم بالعبادة (هلال، 1995، صفحة 101).

و للكتاتيب التعليمية إرهاصات قبل ظهور الإسلام فقد كانت متواجدة لتعليم الصغار بعض تعاليم اللغة والعلوم إلا أنها انتشرت وظهرت كشكل من أشكال التربية مع انتشار الإسلام نتيجة تحمس الناس للقرآن . وتعلم مبادئ الإسلام "وفي بلاد المغرب العربي ظهر الكتاب القرآني بعد الفتح الإسلامي مباشرة خاصة مع البعثات التعليمية القادمة من الشرق لنشر القران وتعاليم الإسلام واللغة العربية,وهذا قبل مضي القرن الأول للهجرة ، و يعد المسجد أول منشأة معمارية تشيد في المدينة الإسلامية ،وقد ظهر المسجد كبناء مستقل تؤدى فيه وظيفة الصلاة ،وقد أقيمت في كل بقعة فتحها المسلمون. وبعد فترة وجيزة من ظهور الإسلام ، بدأ الناس يبحثون عن التعرف على هذا الوافد الجديد واشتد الطلب على العلم فتعددت مراكز التعليم وكانت البداية بالمساجد" (بلحاج، 2007، صفحة 183).حيث كان جماعة من معلمي كتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد ليلقن الصبيان و يعلمهم إلى ان منعوا من ذلك للتقليل من ضوضاء الصبيان وعدم معرفتهم بقواعد النظافة، و أصبح تعليم الأطفال ببيوت المعلمين أنفسهم أو بملاحق خاصة بالمسجد.

وقد كانت المساجد بمثابة مركز للتدريس الأولي في الإسلام وكان مباحا لكل شخص الاستماع للدروس ، ولم يكن المعلم ملزما بموعد معين للجلوس في المسجد،فقد كان ذلك طواعية ولم تتدخل الدولة بشؤون التدريس ولا في تعيين العلماء حتى سنة 659 ميلادية ،حين نظمت الأجور وعينت المعلمين".فقد كانت الكتاتيب في العصور الإسلامية الزاهرة مراكزا لتخريج الخلفاء والعلماء والقضاة والأمراء وتأهيل الرجال الأكفاء لإقامة الدولة الإسلامية (بلحاج، 2007، صفحة 183).

كما أن أصول الكتاتيب التي تعد النواة التعليمية و التربوية الأولى في الإسلام، تعود إلى أقدم العصور، لتعليم الناشئة المبادئ الأساسية القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم منذ العصر الأموي وحتى الآن . أما في الحضارات السابقة فقد وجدت كتاتيب ملحقة بالمعابد الفرعونية وكانت تمنح للدارس شهادة تسمى "كاتب تلقى المحبرة" وكان المسيحيون يعلمون أجزاءا من الكتاب المقدس والمزامير (الكتاتيب القرآنية، 2018).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وكان بعض اليهود يعلمون العربية للصبيان قبل الإسلام في قبيلتي الأوس و الخزرج. وقد شملت المؤسسات التربوية القديمة كلا من الكتاتيب و المساجد و الرابطات و المكتبات العمومية و الخاصة، و قصور الأمراء، و دور العلماء، و حتى الدكاكين... الخ .و ظهر هذا التعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخير ببعث عشرة فقهاء أهل علم و فضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام (تاري، 2012، صفحة 57).

ليس هناك إجماع بين المؤرخين حول البداية التاريخية للكتّاب؛ بعضهم يذهب إلى أن نظام التّعليم، في الكتاتيب ، كان شائعاً ومعمولاً به أيّام النّبي، مستمراً حتى عهد الخلفاء الرّاشدين ، وبني أمية في الأمصار الإسلامية. ولم يتفرّد المشرق العربي وحده بهذه الكتاتيب ، بل عرفها المغرب العربي، في وقت متقدّم أيضاً . (زريوح، 2004، صفحة 154)

وإذا ما سلمنا بهذه الأقوال فانه يمكننا القول ان العرب عرفوا الكتاتيب قبل ظهور الإسلام وبظهوره عملوا على تكييفه وضبطه ليتماشي مع الدين الجديد.

وقد كان اسم" المحضرة "يطلق على المدارس القرآنية في بلاد المغرب العربي وهي مؤسسة تربوية ثقافية تفتح أبوابها أمام جميع الطلاب من مختلف المستويات الثقافية ، والاجتماعية و الفئات العمرية،ومن كلا الجنسين حسب الحاجات والطاقات الذهنية والمستوى العلمي". (النحوي، 1998، صفحة 85)"وقد ذكر ابن خلدون في هذا الشأن أن الصحابة والتابعين هم أول المعلمين في بلاد المغرب الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر وبذلك تم إسلامهم وأصبحت لغتهم العربية " (ابن خلدون، صفحة 416)،وقد أرسيت قواعد الإسلام في بلاد بني سنوس بصفة نهائية في عهد المرابطين (530هـ- 1135 م) . (بل، د-ت، صفحة 97)

وتعتبر الزوايا التي انتشرت خاصة في العهد العثماني التركي بالجزائر أهم مكان لتلقي التربية والتعليم زيادة عن أعمالها الثقافية, واهم مركز للغرباء والفقراء والراغبين في ذكر الله وحفظ القران وعابري السبيل.كما لعبت دورا هاما كملجأ للمجاهدين والفدائيين أيام الثورة التحريرية ضد فرنسا (طالب عبد الرحمان، 1983، صفحة 80). وقد اهتمت بالانشغال بأمور الآخرة بعيدا عن الدنيا لتحد من الجهل والتخلف الذي ساد المجتمع آنذاك ،حيث انتشرت الخرافات و تقديس الأولياء و قبور الصالحين وممارسة طقوس وثنية وعادات غريبة لازالت بعض تقاسيمها باقية لحد الآن .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في تلمسان وفي نفس الفترة العثمانية و جدت خمسون مدرسة ابتدائية، "ومدة التعليم الابتدائي آنذاك أربع سنوات يتعلم فيها التلميذ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن و أركان ألإسلام و شعائر الدين ،وكان له المجال ليواصل تعليمه الثانوي في الجامع أو في مدرسة ملحقة بالوقف ، فالتعليم الثانوي مجاني ، ولم يكن هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي و العالي،واهم دروس المرحلة الثانوية و العالية النحو ،الحديث،الفقه،الحساب والفلك والتاريخ والطب وهذا في التعليم العالي" (سعد الله، 1977، صفحة 313).

كما كان يطلق على الكتاب عدة أسماء "كالمسيد "في منطقة الجزائر العاصمة و"الزاوية "و"المعمرة" و"الجامع" ،وقد كان التعليم بصفة عامة قبل الاحتلال يرتكز كليا على التعليم القرآني في المدارس القرآنية والزوايا و الكتاتيب المنتشرة بالمنطقة .وبمجرد دخول الاستعمار الفرنسي إلى بني سنوس حاول المحتلون طمس كل ما له علاقة بهذه المؤسسات التقليدية. بالمقابل أنشئوا مدارسا فرنسية تعنى بتعليم اللغة الفرنسية وتقدم الإغراءات والحوافز للالتحاق بها،في محاولة لطمس الهوية الدينية و الثقافية للسكان ، كما يقول أحد شيوخ المنطقة لقد كان الفرنسيون – أو كما كان يطلق عليهم السكان اسم "النصاري"– كانوا يقومون ببناء شبه قوس دائري في وسط الأراضي التي اغتصبوها من الأهالي آنذاك خفية ، ويشيعون أنها مقابر لأولياء صالحين حتى لا يقوم السكان بإتلاف أو سرقة تلك المحاصيل التي يستفيد منها الفرنسيون،وذلك لعلمهم بان السكان يقدسون كل ماله علاقة بالأضرحة و الأولياء الصالحين ويعتبرون كل ما جاوره من محاصيل أو ثمار وقفا أو حبوسا و لا يجرؤون حتى علي المساس به ويمنعون حتى المواشي من الاقتراب منه..وبهذا ضمن المعمرون سلامة مزارعهم في ظل سذاجة السكان آنذاك..

وتعتبر المساجد من بين أهم المرافق الدينية في القرى الريفية ، ففيها يؤدي الفلاح صلاته ويتعلم أمور دينه ودنياه ،ويتعلم فيها أبناء القرية القرآن... وكان اسم "المسيد" يطلق على المسجد ، والذي حرفت فيه كلمة مسجد بإبدال الجيم ياءا،ويقصد بها الكتاتيب التي كان لها دور بارز في تحفيظ القرآن الكريم وتعاليمه" (فيسة، 2016، صفحة 02) . وعلاوة على كونه – أي المسجد– وجد لحاجة دينية فهو بالمقابل يؤدي العديد من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى فقد كانت مركز عبور للمسافرين وعابري السبيل والطلبة ، والفقراء والمتصوفين من كل حدب وصوب "ويتم فيها تأديب الصغار وحملهم على التحلي بأخلاق المؤدبين من مشايخ وعلماء وذلك لتعويدهم على الاتصال المباشر بالصلاة والعبادات منذ الصغر". (فيسة، 2016، صفحة 02)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثالثا: الكتاتيب القرآنية في بني سنوس:

1. تاريخ الكتاتيب القرآنية في بني سنوس:

يقول ***ألفريد بل***:" يثبت القرويون في بني سنوس انتمائهم وارتباطهم الشديدين بالدين الإسلامي من خلال حرصهم على تعليم أبنائهم مبادئ الدين واللغة بإشراف مؤدب يكن له سكان القرية احتراما وتقديرا كبيرا لمكانته ودوره التربوي والديني . وتحتوي كل قرية من قرى بني سنوس على مسجد عتيق يعتبر كتابا ومؤسسة تعليمية لأبناء القرية وما جاورها". (بل، د–ت، صفحة 47)

كانت كتاتيب بني سنوس من أعرق الكتاتيب في المنطقة كلها والتي كانت تعد مركزا للإشعاع المعرفي التربوي والديني , و كان الطلاب يحجون إليها من كل حدب وصوب وحتى من البلد المجاور المغرب ، إلا أن هذا الإشعاع أفل مع فقدان شيوخ هذه الزوايا والكتاتيب القرآنية والذين كانوا بمثابة النور الذي يضيئها ولا ننتقص هنا من قدر من خلفهم من طلبتهم , ولكن الخلف لم يكونوا بمستوى شيوخهم قدرا ومعرفة وعلما وتضحية لخدمة القرآن لوجه الله , واكتفوا بحفظ القرآن الكريم والمتون فقط ، وأهملوا العلوم الأخرى التي كانت تدرس قبلا،كالتفسير والحديث...

"وقد كان مستوى التعليم في الكتاتيب القروية تقليديا إلى درجة كبيرة لا يخرج في معظمه عن دائرة تحفيظ القرآن وبعض الموضوعات الدينية التي تتوقف أهميتها وفائدتها على مستوى الفقيه ، الذي يقوم بتدريسها وقدرته على تحصيلها تحصيلا صحيحا أو خاطئا ، ومع ذلك فإنه لا يجب أن نغفل عن مدى أهمية هذه الحياة التعليمية في القرى ودور هذه الكتاتيب في تكوين الثقافة الدينية لأهاليها". (ديستان و بن حاجي، 2002، صفحة 78)

ويحرص السكان على إعالة وإطعام هؤلاء الطلبة فهم أهل الله وخاصته ،ويبدلون النفس والنفيس لتأمين التعليم القرآني لأبنائهم وتسهيل سبل العيش للمقيمين والغرباء من هؤلاء فهذا يعود عليهم بالبركة والرخاء ويزكي محاصيلهم الزراعية ". (بل، د–ت، صفحة 53)

وقد ذكرت لنا بعض المراجع التي تطرقت للتعليم القرآني في قرى بني سنوس وتدريسه أن عدد الطلبة الذين كانوا يرتادون مسجدي قرية "تافسرة" و"الثلاثاء قد بلغ الخمسين طالبا أثناء الفترة الاستعمارية معظمهم شباب قدموا من جهات مختلفة.تحت إشراف المؤذن أو الإمام ، وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وذلك بالقيام بكتابتها بعد محوها على لوح من خشب" الجوز" بالسماغ" وبواسطة قلم من القصب ، يرتدون لباسا يعرف لدى سكان القرية باسم "القندورة" وهي عباءة بيضاء .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما يلفون رؤوسهم بعمامات، أما عن طريقة عيشهم فهم يعتمدون على صدقات الناس وفي كل مسائل يقومون بإرسال طالبين من بينهم يسالون الناس "عشات الطلبة" وأيام رمضان يحمل إليهم المحسنون حساء "الشربة" وخبز الشعير وما لذ وطاب من الفواكه ،والقهوة .و للحصول على بعض النقود يقوم هؤلاء الطلبة بمساعدة الفلاحين مقابل أجر. و تمنح لهم عطل بمناسبة المولد النبوي الشريف لمدة شهر، وأسبوعا في مختلف الأعياد الأخرى، إضافة إلى يومي الخميس وصباح الجمعة". (بل، د-ت، الصفحات 54-55)

"والملاحظ هنا تلك النزعة القوية للتدين لدى سكان بني سنوس وتمسكهم بمعتقداتهم القديمة وبعض العادات والطقوس الوثنية مضيفين إلى ذلك كل ما ينطوي عليه الإسلام من حدة وصرامة في شعائره و في التصوف الذي هو جوهر الزوايا الدينية الإسلامية في هذا البلد". (فيسة، 2016، صفحة 07)

ويوجد في كل قرية من قرى هذه المناطق مسجد ، وكل مسجد يضم عددا معينا من طلبة القرآن... ورغم خصاصتهم وفقرهم المدقع فإن سكان هذه القرى يكرمون مساجدهم إكراما عجيبا... و يحملون أنفسهم اقتطاع جزء من مواردهم الزهيدة للإنفاق على القائمين على المسجد وعلى الطلبة الذين يحفظون القرآن...". (بل، د-ت، صفحة 88)

" ولعل ابرز ما يميز مساجد بني سنوس هو وجود الأقبية و الدهاليز التي استعملت في ما مضى ككتاتيب لتدريس القرآن الكريم وتعليم الدين..." (بل، د-ت، صفحة 93).

" وفي مسجد قرية الخميس وفي الزاوية الشمالية الشرقية للمسجد توجد غرفة مساحتها 3 متر في 5.5 متر يستعملها الطلبة قاعة لتعليم القرآن وقرب هته الغرفة من جهتها الغربية توجد مغارتان تحت أرضيتان يستعملهما الطلبة للنوم وطبخ الطعام" (بل، د-ت، صفحة 99).

وفي مسجد "بني عشير" أيضا و في جدار الجهة الجنوبية للمسجد فتح باب يتصل بفناء صغير يشرف علي النهر تتصل به من جهتهما الشرقية حجرة تعليمية للطلبة ومغارة تحت أرضية يتخذها الطلبة مقرا فيه يسكنون." (بل، د-ت، صفحة 103)

أما عن تاريخ تأسيس مساجد بني سنوس فيقول ***"الفريد بل"*** أنها قد تأسست قبل مسجد" أكادير بتلمسان" عام 174هـ /790م. وقد يعود تاريخ بنائها إلى القرن الرابع عشر ميلادي .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وقد تحدث" ألفريد بل" أيضا عن الموظفين والقادة العسكريين السنوسيين الذين كانوا حسب ما يقوله كتاب ذلك العصر على جانب معين من الثقافة، ويمكننا الاعتقاد بان أساسيات هذا التعليم متمثلة في حفظ القران الكريم على الأقل . وقد اكتسبها هؤلاء الموظفون في بلدهم وفي مساجد قراهم... ولعل ابرز قادة البلاط الملكي التلمساني القائد الشهير "**يحيى بن موسى السنوسي**" (بل، د-ت، صفحة 52) من بني سنوس.

يقول" الفريد بل": "يزعم سكان بني سنوس أن عائدات الحقول الوقفية التابعة لمساجدهم تبلغ حاليا 4,000 فرنك وهو رقم يبدو مبالغ فيه كثيرا".فمنذ دخول الفرنسيين إلى بني سنوس منذ 1846 إلا أن انتفاضتهم لم تمكن الفرنسيين السيطرة علي المنطقة إلا في 22 سبتمبر 1848." (بل، د-ت، صفحة 53)

"...و كما هو الحال في المغرب وتونس وكل البلاد الإسلامية قبل الاحتلال الفرنسي فان المساجد الكبرى وبيوت الصلاة في بني سنوس والعزايل كان محافظا عليها وكان القائمون على شؤون الدين فيها يتقاضون أجورهم من مداخيل الأموال التابعة للمسجد "الحبوس" (بل، د-ت، صفحة 53)

وقد كان المسجد الصرح الديني للإسلام رغم السياسة الجائرة للاستعمار الذي سعى إلى تسليط كل أشكال الذل والتهميش والظلم على هؤلاء القرويين البسطاء لتجريدهم من هويتهم وثقافتهم.

وأشهر المواقع الأثرية الخاصة بالتعليم الديني في بني سنوس :"غار أولاد علي"وهو عبارة عن مغارة طبيعية واسعة ملحقة بمسجد عتيق بقرية "بني حمو" القديمة لها مدخل ضيق،فسيحة من الداخل،تقع بالجوار إلى دشرة "أولاد علي" ويحط بهما سور من الحجارة و الطين يشبه إلى حد بعيد سور المنصورة بتلمسان،وحسب ما يروى فقد بناه جماعة من "بني برية"،وكان يؤم المغارة مسافرون و طلبة من كل مكان وحتى من دول مجاورة.لم يتبقي منه سوي الأطلال.فقد أصبحت الكتاتيب القرآنية في بني سنوس حجرات دراسية ملحقة بالمساجد مجهزة ببعض الأجهزة العصرية لكنها ظلت محافظة على خصوصياتها في طريقة التدريس التقليدية و الجلوس على الحصر و البسط،والأدوات التقليدية المستخدمة وحتى نظام العقاب بالفلقة.

2. طريقة التدريس:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لعل ما يميز التعليم القرآني عن التعليم الرسمي في المدارس أن للطلاب حوافز ودوافع إيمانية وإخلاص شديد، و حسن نية تجاه التعليم لوجه الله و ليرضى الله عنهم ويحبهم ويوفقهم في حياتهم. كما تعتبر أهم نقطة فاعلة في البناء النفسي والاجتماعي والتربوي والديني للطفل.

وبالرغم من بساطة الكتاب وتواضعه من حيث البناء والزخرفة والفرش, إلا أن تأثيره في النفوس بالإيمان والخير كبير جدا،ومن أهم أهداف الأهالي في إلحاق الصغار وترددهم على المساجد للتعلم هو تنشئتهم على حب بيوت الله وجعلهم يألفونها ويرتبطون بها وتحببهم فيها وتجعلهم يرتادونها ويتعودون عليها ليتمسكوا مع مرور الزمن بهويتهم الدينية.

بعد التحاق الطفل الكتاب بشكل رسمي يكتفي في هته الفترة الشيخ المدرس بضمه إلى أقرانه المبتدئين الذين يكتفون بالاستماع للقراء الآخرين الأكبر سنا للتعود على جو الكتاب والاحتكاك بينهم.وقد تتراوح هذه الفترة من أسبوعين إلى شهر تقريبا,و مباشرة بعد ذلك يقوم الشيخ بترديد بعض قصار السور كالفاتحة والمعوذتين والكوثر جماعيا مع هؤلاء الأطفال يوميا حتى يتعود لسانهم على اللغة والكلمات، ثم يبدؤون بحفظ بعض الآيات. بعد ذلك يكلف الشيخ أحد الحفاظ الأكبر سنا وخبرة،وتمكنا بذلك لفترة، ثم يكلفهم بكتابة بعض الحروف السهلة على ألواحهم بواسطة الطباشير ويلقنهم إياها شفهيا حتى يحفظون تهجئة الحروف جميعها ,ويتعلمون النطق وكتابة الحروف ثم ينتقلون إلى الأرقام لفترة من الزمن إلى حين إتقانهم كتابة الحروف .ثم يبدؤون بكتابة الكلمات والجمل, و كلما لاحظ الشيخ أن الطفل أصبح قادرا على الاعتماد على نفسه في الكتابة ونطق الكلمات يضمه إلى زملائه ممن يكتبون على اللوح الخشبي, ليبدأ بكتابة قصار السور ابتداءا من الفاتحة بإشراف من الشيخ نفسه.

وبعد أن يتمكن الطفل من الكتابة بشكل جيد معتمدا على نفسه، يترك له الشيخ الحرية في كتابة ما يحدده له ليحفظه ليقوم باستظهاره كلما سنحت له الفرصة أمام الشيخ، ليأذن له بمحو اللوح بواسطة الصلصال ليكتب الجزء الموالي ويحفظه وهكذا حتى يتم حفظه للحزب كاملا. يطلب الشيخ من الطالب إحضار "الفتوح"وهو عبارة عن طعام لإكرام الشيخ والزملاء في الكتاب ،ويكون عادة شايا ويرافقه مأكولات شعبية كالكسكسي باللحم أوحلويات كالسفة أو المسمن أو السفنج أو المبسس أو حلويات تقليدية .إضافة إلى حلويات أخرى أو تمر وحليب...., وكل حسب مقدوره هذا إضافة إلى مبلغ رمزي بسيط جدا من المال يقدم للشيخ كإكرامية غالبا لا يقل عن 200 دينار ويبقى هذا المبلغ (الفتوح) دينا على الطالب حتى وان لم يحضر في حينه، فمتى سنحت الفرصة لذلك فعليه إحضاره حتى ولو كان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بسيطا. وتجد نساء بني سنوس وأولياء الطلاب يجتهدون في تقديم الفتوح لطلبة الكتاب ويحرصون عليه بشدة حتى وان كان المدخول بسيطا والحال يسيرا، وعند تقدم الطالب في الحفظ ووصوله إلى ما فوق الثلاثين حزبا وتقديرا له يقدمه الشيخ الإمام لإمامة الناس في صلاة التراويح في رمضان. ويستدعى لحلقات الذكر التي تقام بعد صلاة العصر والمغرب لتلاوة متن الورد اليومي للقرآن مع كبار الحفاظ والأئمة ، بشكل جماعي . وعند ختم الطالب لحفظ القرآن كاملا ومراجعته عدة مرات على يد الشيخ ،يأذن له الشيخ بالحفظ ويباركه ، وتقام لذلك اليوم المشهود عادة وليمة كبيرة في بيت الحافظ و تتهاطل عليه الهدايا والتبريكات و التهاني ، و يحضى بمكانة مميزة جدا لدى الجميع وعادة ما يذبح لذلك اليوم الفضيل الذبائح ويقام عرس للحافظ يدعى إليه كل أهل القرية دون استثناء , و قد يعتمد عليه الشيخ في تعليم من هم دونه في الحفظ أثناء غيابه، ويكلفه الإمام أيضا بإقامة الصلاة في حال غيابة كذلك.

يزين الشيخ اللوحة كلما ختم الطالب حزبا من القرآن بالألوان وبعض الرسومات البسيطة ليحملها الطالب الصغير في الشوارع والأزقة مزهو ختمته فرحا بها ، طائفا على بيوت كل من يعرفهم لينال الإكرامية أو الفتوح ليجمع مبلغا لا بأس به مما جاد عليه الأهل والجيران.

3. المعلم أو الشيخ أو الفقيه:

يتميز المعلم أو الشيخ بهندام يقدس شخصيته الدينية الهامة ومكانته، مرتديا قشابية أو عباءة و عمامة أو طاقية، شيمته الاتزان والوقار والصدق والشمائل الطيبة والسمعة الزكية والأخلاق الحسنة ,وبما أن الشيخ المدرس هو العنصر الأساسي في هذه العملية التربوية فانه يحضي بمكانة مرموقة واحترام وتقدير وهيبة ووقار كبير في الوسط الاجتماعي السنوسي إلى حد الآن، و لا نكاد نجد تقريبا شيخا مدرسا في كتاتيب بني سنوس معينا من طرف الوزارة الوصية أو الجهات المعنية بذلك بشكل رسمي فجلهم شيوخ زكاهم جماعة المسجد أو القرية لصفاتهم ومؤهلاتهم وبذلك يقومون بتدريس الطلبة مقابل مبلغ مالي بسيط يقدمه هؤلاء يوم الأربعاء من كل أسبوع ويسمى "لاربع "ويقدر ب 50 دينارا إضافة إلى بعض الإكراميات من طرف أولياء الطلبة الميسورين أو جماعة المسجد،وما يميزهم هو إخلاص النية لوجه الله ابتغاء الأجر والقرب منه,وسبق أن تخرج علي أيديهم عشرات الطلبة منهم من حفظ القران كاملا ومنهم من حفظ بعض الأجزاء.فالعمل التعليمي في المساجد السنوسية تطوعي أكثر منه مهنة تدريس.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويتم تدريس الطلبة وفقا لما يتناسب مع نظامهم الدراسي و توقيت المدارس النظامية وذلك أيام العطل وبعد صلاة العصر في الأيام العادية حتى المغرب كل أيام الأسبوع عدا الخميس و الجمعة ، كما يخص يوم السبت للاستظهار والكتابة على الألواح .

4. الوسائل و الأدوات المستخدمة في الكتاتيب:

تستخدم في هذه العملية لحد الآن الأدوات التقليدية والتقنيات البسيطة المستخدمة منذ عشرات السنين،حيث بقيت الكتاتيب محافظة على تلك الطرق التقليدية المتوارثة جيلا عن جيل دون تغيير:كطريقة التلقين أو الإفتاء حيث يقوم الشيخ بإملاء الآيات على الطلبة لكتابتها على **اللوح الخشبي** المصنوع عادة من أشجار الجوز واغلب الألواح المستخدمة في كتاتيب بني سنوس تعود لعشرات السنين وتعد من أوقاف و حبوس المسجد إضافة إلى المادة المستخدمة في الكتابة وهي **الدّواية** وهي نوع من الحبر الأسود تصنع عادة من مسحوق صوف ذيل المواشي محروق يمزج بمقدار معين من الماء الساخن و يوضع في قارورة للاستخدام. **والقلم** المستعمل للكتابة هو قطعة صغيرة من القصب العادي أو القصب الحر، يقطع رأسه بشكل مثلث مائل ليناسب الكتابة، وعادة ما يمحى اللوح **بالصلصال** الذي يجلب من جبال المنطقة خاصة من "واد القدّار" .

فور إتمام الطالب حفظ ما تيسر له من مقاطع يحددها له الشيخ عادة ما تكون "ثمنا "يحفظه ثم يقوم بتسميعه. فان أجازه استمر وانتقل إلى الآيات الموالية وإلا سيقوم بالتكرار بإعادة الحفظ . حتى إن طريقة العقاب بالفلقة و العصا لازالت كما كانت منذ قرون.

5. طريقة التدريس بالقراءة الترديدية:

وهي طريقة التكرار والحفظ والاستظهار: حيث يعطي مدرسو القران في الحلقات وغيرها هذه الطريقة أولوية و أهمية كبيرة في تعليم الطلبة القران الكريم وتحسين مستوى تلاوتهم له, و هي طريقة من التلقين يتم فيها ترديد الطلبة خلف من يقرا مقاطع الآيات التي يسمعونها من الشيخ بصوت واضح ومرتفع وتستخدم لتعليم صغار الطلاب وهي طريقة من شأنها الرفع من المستوى اللغوي لديهم وتعويدهم على اللغة العربية وتهجئة الحروف والتعود علي مخارجها واستيعاب كم من الكلمات التي يجدون فيها صعوبة. (مؤسسة المنتدى الاسلامي، 1417، صفحة 36)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

" و المتعلمون في المساجد يمتازون عن غيرهم بوجود الحوافز الدافعة لهم إلي التعليم أكثر من غيرهم" (السدلان)

رابعا: تأثير الكتاتيب القرآنية:

1. من حيث اللغة :

حيث تأتي اللغة كأبرز مظهر تأثر بالكتاتيب القرآنية بفضل قربها من المجتمع كونها لصيقة بالمسجد الذي كان ابرز مكان يحل فيه ويربط كل شيء، استطاعت أن تلعب دورا هاما في تطوير اللغة العربية واللهجة المحلية التي كانت هجينا من اللهجات الأمازيغية والشلحة أو مزيجا من الدارجة اللهجات المختلفة التي أنتجت اللهجات المحلية التي يتحدث بها السنوسيون لحد الآن.

ومن المعروف أن الكتاتيب القرآنية لها بالغ الأثر في تنمية قدرات الناشئة اللغوية والفكرية والنفسية ،من خلال الاحتكاك بالأطفال الآخرين وقد ذكرت العديد من الدراسات النتائج الايجابية التي يتحصل عليها الطلبة الذين سبق لهم الالتحاق بالكتاتيب مقارنة بغيرهم وهذا بعد التحاقهم بمؤسسات التعليم الرسمي،ولعل خير دليل هو النتائج المبهرة التي يتحصل عليها حفظة القرآن الكريم في المدارس الحكومية النظامية. (بكراوي و مرشدي، 08/07 ديسمبر ،2011، صفحة 212)

2. من الناحية الاجتماعية و الثقافية:

كما يوفر الكتاب للطلبة العمل في جماعات والتفاعل بين أفرادها مع وجود تجانس نفسي بينهم وروح الاشتراك بفضل أفراد الجماعة، مما يولد لديهم روح الوحدة والتضامن والتنافس والمثابرة لبلوغ الهدف .

ومن الملاحظ أن الكتاتيب القرآنية في المنطقة قد حافظت ومنذ نشأتها على نظامها التربوي في الحفاظ على كتاب الله وإرساء قواعد الشخصية العربية الإسلامية في نفوس الناشئة منذ نعومة أظافرهم .

وقد لعبت المدارس القرآنية في بني سنوس دورا هاما في بناء الثقافة الإسلامية وترسيخها في عمق الشخصية السنوسية وإعتاقهم من الاعتقاد الوثني الذي طغى على مجتمعهم قبل الإسلام .

" وقد حدثت بعض الإشكالات والعوائق من خلال مرور المجتمع السنوسي في طور أسلمة الثقافة التي لا شك انه كان لزاما على المجتمع أن يغير بعض مفاهيمه وتقاليده ليواكبها ، وقد استطاع الإسلام أن يتجاوز هذه المرحلة بنجاح وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة ويظهر ذلك بوضوح من خلال الأخلاق العامة والخاصة من المأكل والملبس وغيرها..." (لجنة الأوراق و السكريتاريا، 15-17 ديسمبر 2011، الصفحات 33-34).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خامسا :الطقوس الدينية للطّلْبَه (طلبة الكُتّابْ):

كما ذكرنا فان الطلبة الذين يعيشون في أقبيّة أو غرف ملحقة بالمسجد من مختلف المناطق يعيشون في تناغم رائع مع سكان المنطقة ، يجودون و ينفقون عليهم ففي كل مساءًا تقدم عائلة من العائلات أو مجموعة منهم العشاء لهؤلاء الطلبة ، وخلال شهر رمضان يحمل إليهم السكان الفطور من كل ما لذ و طاب من حساء و فواكه وخبز وقهوة إلي مسكنهم راجين منهم الدعاء و طالبين البركة ، كما يحصلون علي بعض النقود من خلال مساعدة الفلاحين في أعمالهم المتنوعة خاصة في موسم الحصاد ، و ذلك لاقتناء حاجياتهم،و يرتدي الطلبة عادة عمامة صفراء أو بيضاء مع قشَّابِيّة أو "قَنْدُورَة"أثناء الصيف و يضيفون إليها جلبابا من الصوف شتاءا،وتمنح لهم عطلة أسبوعية يوم الخميس و صباح الجمعة للراحة و التجوال ،وعطل أخري في المناسبات و الأعياد . و يعتبر الأهالي انه من الواجب المقدس الذي يقرب إلي الله و يعود بالخير الكثير و البركة علي قريتهم و عائلاتهم و ذريتهم و ماشيتهم ومحاصيلهم الزراعية ،أن يكرموا هؤلاء الطلبة ومن يدرسهم ويولونهم احتراما خاصا و مكانة هامة.ومن أهم الطقوس المتعلقة بهم :

1. عارفة مباركة:

عند اقتراب عيد الأضحى المبارك و قبل ثلاثة أيام تقيم الفتيات في القرى السنوسية طقوسا خاصة لاستقبال هذا العيد بجمع التبرعات لصالح الطلبة . حيث تقوم الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 7و14 سنة بتشكيل مجموعات للطواف ببيوت و أزقة القرى حاملات أطباقا وقفافا من الحلفاء و ميدونات(طبق مصنوع من خوص الدوم) و أكياس فارغة لجمع ما تيسر من حبوب و دقيق و كسكسى أو "تشيشة"(كسكسى مصنوع من الشعير) .إضافة إلي النقود. وقد سميت" عارفة " لان هذا اليوم يوافق يوم الوقوف بعرفات الحج الأكبر وتقوم الفتيات أو الطلبة بترديد أهازيج تحفز علي البذل و العطاء طيلة اليوم :

عارفة ، عارفة مباركة ميمونة ، حنا حنا

عطيني شوية ولا نمشي لوليدك.

يحن عليا بالركاب الجديد.

موحند أوشمامة ياكبير العمامة ، يا مربي ليتامى يا شيخ لبلاد .

ندوز داركوم ؟! ندوز داركم؟!

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يا للي مراحكم بالمال و الرجال و الشيخ و الكبار .

عارفة مباركة ميمونة،أماما عطيني شوية .

تقوم ربات البيوت بإكرام الفتيات و الطلبة بما تيسر من المخزن و لو بالقليل،لأن عدم إعطائهم شيئا يعد فألا سيئا .

2. الله آمين:

هي طقس يقوم به الطلبة لجمع ما تيسر من الحبوب و المحصول للعيش خلال السنة ، حيث يقوم الطلبة بالسير في أزقة القرية من بيت لآخر حتى غروب الشمس مرددين أهازيج مليئة بالمعاني و التضرعات :

الله آمين ، الحمد لله الذي هدانا ،الله آمين .

ولو ما علمنا هجانا، ضربنا بالسوط فأحيانا . الله آمين .

ويا رزاق الوحدانا ، لا تنسانا . الله آمين .

شكوت للرحمن بذنوبي . الله آمين.

و كم لم يشتكي المريض للطبيب.الله آمين.

أرفق بنا يا ستار العيوب.الله آمين.

أرفق بنا في الغم و في الأكفان.اللهم آمين.

تقوم ربات البيوت بإكرام الطلبة بما تيسر من مخزون البيت،و بالمقابل يقوم الطلبة بالدعاء لربة البيت بالخير و البركة و زيادة الرزق و بالصحة و العافية وتحقيق كل الأماني . (بن شراط، 2011، الصفحات 46-48)

3. تقديس أضرحة الأولياء الصالحين و المرابطين:

ونذكر هنا هذا الطقس لان الكثير من الطلبة كانوا يستغلون الأضرحة المنتشرة بالمنطقة لكسب بعض المال خاصة أيام المواسم و الأعياد ، يتلون كتاب الله و يرقون الزوار ويكتبون لهم أحجبة أحيانا للتداوي أو للشفاء من مس أو عين ، أو لحل المشاكل الأسرية و الزوجية وغيرها مقابل بعض النقود التي ينفقونها في شراء الطعام و اللباس أو السفر إلى أوطانهم . وتتجلي معالم الدين و طقوسه عند السنوسيين أيضا ، في ارتباطهم الشديد و العميق بتقديس الأولياء و المرابطين ؛ولعل أهم أضرحة المنطقة وأشهرها علي الإطلاق ضريح" الشيخ السنوسي"

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في قرية الفحص"حويطة". ويعتبر التصوف جوهر الزوايا الدينية الإسلامية التي انتشرت بشكل كبير بالمنطقة خاصة في منطقة تافسرة . ولم يبق من هذه الزوايا إلا الشيء القليل مع اعتناق أهل المنطقة خاصة منهم الشباب طرقا صوفية أخري غير السنوسية،كالقادرية والتيجَانيَّة و الدَّرْقَاويّة ، و العَلَويّة . وتحتوي المنطقة علي عشرات الأضرحة وتتميز كل قرية بوَليّها الصالح ويتميز كل ضريح بطقوس معينة ، تتمحور حول الشفاء من بعض الأمراض ، و طلب المطر و الوَعْدَاتْ(تجمع موسمي للاحتفال) التي تقام سنويا،كما تقصدها النساء لطلب البركة والشفاء للصبية الصغار. إضافة إلي طقوس سحرية أخري لا يسعنا المجال لذكرها.

4. طقوس الاستسقاء:

و لطلب المطر يذهب الطلبة – طلبة الكتاتيب القرآنية – و السكان خاصة منهم الرجال حافيي الأقدام وعاريي الرؤوس ، متجهين عبر شوارع القرى إلي أضرحة الأولياء الصالحين ، مرددين ابتهالات و تضرعات منها : يا رجال الزاوية تصبحوها راوية.يا رجال بني سنوس تصبحوها مَالُوسْ(طين).كما تقوم قبيلة أولاد شْعَايَبْ ببني حمو،بصنع" دَرْدُوشْ"وهو رجل يلبس الأسمال بهيئة رثة و يرتدي بعض الحلل المصنوعة من قواقع الحلزون ليطاف به عبر الشوارع . و تلعب النساء بالكرة و الملاعق كالأطفال ، و تزين ملعقة خشبية كبيرة بالحلل و الثياب و كأنها دمية و يطاف بها في الشوارع لاستجلاب الفأل الحسن ، و يقوم آخرون بجلب نعجة سوداء تساق إلي الوادي و تربط بعيدا عن وليدها،فيما يُرمي أحد أبناء سيدي الشيخ أو أحد الأشراف في الماء و يتراشق الناس بالماء في الوادي ، ثم يذبح ثور أسود أمام الضريح و يوزع اللحم علي جميع البيوت و يطبخ الكسكسى ليأكل منه الجميع أمام مسجد القرية بعد صلاة العصر.كما يقوم الأطفال بتعليق سلحفاة من رجلها وتركها تتعذب حتى يُنزل الله المطر رحمة بها.وهذه أهم الأهازيج والابتهالات التي يرددها الأهالي و الأطفال و التي ترافق هذه الطقوس :

-يا النُّوْ(المطر) صبي صبي،يا ربي يا ربي.

-النُّو تبله و الريح تسله.يا ربي تعطينا النو.

-النو يا مولاتي صبي علي عزلاتي(بساتيني) ما ياكلو معيزاتي.

-يا سبولة(السنبلة) في لعماد حن عليها يا جواد.

-ويا الرخلة(النعجة الصغيرة) في لوداح حن عليها يا فتاح.

- صبي يا النو الجلجالة باش تعيش الهجالة(الأرملة).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-يا النو صبّي صبّي ولادي في قُرْبي(في كوخ).

يا النو غيث غيث باش يقطر كل بيت.

-يا سبولة عطشانة غيثها يا مولانا. (بن شراط، 2011، الصفحات 50-51)

خامسا : نموذج لأحد أعلام التعليم القرآني بالمنطقة:

يعد الشيخ السنوسي أشهر أعلام بني سنوس إلا ان الكثير من العلماء و رجال الدين بالمنطقة عاشوا و توفوا دون ان يسمع احد بمآثرهم ،ولعل من أهم هؤلاء نذكر على سبيل المثال: العلامة "سي احمد ابن يعقوب ابن محمد"المعروف "بالسي أحمد بلفقيه"علما من أعلام بني سنوس وقامة من قامات العلم و التقوى ،كان إماما خطيبا ، متقنا لعلوم القرآن ، و الفقه و علم الفرائض و الميراث ، حيث عرف عنه نبوغه في ذلك وذاع صيته حتى أصبح المستشيرون يأتونه من كل مكان.ولد سنة 1919 بقرية "أولاد موسى" ،حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة لا تتجاوز 12 سنة ، تعلم أصول الفقه و الشريعة و تتلمذ على يد والده"السي محمد ابن يعقوب" و عمه "مولاي أحمد ابن يعقوب"، ليتوجه إلى مدينة "مازونة" "بمعسكر"لدراسة الفقه المالكي ، ليواصل دراساته الدينية بالمغرب الشقيق بجامع "القرويين"بمدينة "فاس"،لتتوج دراسته بنيل شهادة البكالوريا الدور الأول سنة 1947 ، ثم باكالوريا الدور الثاني سنة 1948، حيث نال الدرجة الأولى بامتياز، ليواصل مشواره الدراسي بجامعة القرويين لمدة سنتين متتاليتين ، ولظروف الغربة القاهرة و الفقر انتقل للعمل كمدرس للغة العربية بالمغرب.

ليعود إلى الوطن في بداية الخمسينات،و يلتحق بالإمامة و التدريس "بالجامع الصغيرة" بقرية الخميس،وقد كان عضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التابعة لتلمسان آنذاك . وبعد اندلاع الثورة التحريرية هاجر العلامة إلى مدينة وجدة المغربية حفاظا على حياته رفقة عدد من قادة الثورة بالمنطقة،عمل على تدريس أبناء المهاجرين الجزائريين ،ليعود للوطن بعيد الاستقلال لمواصلة نشاطه بالتعليم وذلك بمدرسة "الحناية " بتلمسان ، ثم إلى مدرسة "العربي التبسي" "بالقلعة السفلى"،ليرجع إلى مسقط رأسه سنة 1978 إماما ومعلما بالمسجد العتيق بالخميس،إلى ان وافته المنية سنة 1987 بعد مشوار حافل بالعلم والعطاء . رمز من الرموز التي طواها النسيان حال الكثيرين من رجال و نساء بني سنوس (جبور، 2017) . بتصرف .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الخاتمة:

لم تعد المهام الموكلة إلى المساجد كما كانت عليه من قبل فقد كان مركزا أساسيا للتنشئة الاجتماعية وقطبا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا بامتياز، وكانت شؤون المسلمين تدار في المساجد، لكننا شهدنا اليوم انفصال الكثير من هذه الوظائف إلى مؤسسات مختصة مستقلة عن المسجد.واقتصرت مهام المسجد في أداء الصلاة و تحفيظ القرآن و خطب الجمعة و الأعياد فقط .

وقد ظل المسجد إلى عهد قريب محافظا على العديد من الأدوار والوظائف التي شكلت هيكلا متينا يستند إليه أفراد الجماعة في بني سنوس ولا زال رمزا دينيا ومظهرا ثقافيا أصيلا له مكانة خاصة حيث مثل ببساطة عمارته وتموقعه ، إرهاصات و دلالات تعكس بساطة هذا المجتمع من جهة وعمقه من جهة أخرى .فالزائر لمساجد بني سنوس ينتابه مزيج من المشاعر والأفكار لا يمكن إلا أن تكون لديه صورة عن امتداد تاريخ ،و أصالة سكان ،وبساطة عيش ميزت ولا زالت قري بني سنوس رغم ما جد عليها من حداثة."و شكلت الكتاتيب القرآنية كذلك رغم بساطه إمكانياتها وطرقها التقليدية ذلك الحصن المنيع الذي تحطمت على أسواره كل محاولات طمس الشخصية الدينية والهوية الوطنية ،بالمحافظة على اللغة العربية والدين الإسلامي لحد الآن...".

المراجع:

1- المراجع آخر ابن لباد الغالي. (2008). الزوايا في الغرب الجزائري،التيجانية و العلوية و القادرية،رسالة دكتوراه في الأنثربولوجيا. تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، الجزائر.

2- أبو القاسم سعد الله. (1977). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد ج 03). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

3- أبو غدة حسن عبد الغني. (2009). دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي،مجلة المحور الرابع . (المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، المحرر) الرياض، الجامعة الإسلامية، السعودية.

4- ألفرد بل. بني سنوس و مساجدها في بداية القرن العشرين . (حمداوي محمد، المترجمون) الجزائر: دار الغرب للنشر و التوزيع.

5- الكتاتيب القرآنية. (2018). تم الاسترداد من ويكيبيديا: http//:ar.m.wikipedia.org

6- ايدموند ديستان، و سراج بن حاجي. (2002). بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين. (محمد حمداوي، المترجمون) الجزائر: دار الغرب للنشر و التوزيع.

7- بن احمد التيجاني طالب عبد الرحمان. (1983). الكتاتيب القرآنية بندرومة،1900-1977. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

8- خليل النحوي. (1998). آفاق الثقافة و التراث. (المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،، المحرر) تونس، تونس: الشركة الوطنية للنشر.

9- رابح تركي. (1981). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر (ط 03). الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

10-سعد الله أبو القاسم. (1981). تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر (المجلد 01). الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

11-صالح بن غانم السدلان. (بلا تاريخ). الأثر التربوي للمسجد. تاريخ الاسترداد جويلية, 2020، من www.islam house.com.

12-عبد الحق زريوح. (سبتمبر, 2004). المدرسة والكتّاب وأص ،العدد 95 ، السنة الرابعة والعشرون. (اتحاد الكتاب العرب، المحرر) مجلة التراث العربي (العدد 95).

13-عبد الرحمان ابن خلدون. المقدمة. القاهرة، مصر: مطبعة محمد عاطف.

14-عبد العالي بكراوي، و شريف مرشدي. (08/07 ديسمبر ،2011). دور المدارس القرآنية –الكتاتيب-في الحد من ظاهرة العنف ،العدد 08/04،07 ديسمبر 2011، الملتقي الوطني حول التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04، الصفحات 206-2013. الجزائر.

15- محمد جبور. (16 أفريل, 2017). *زوار بني سنوس&& حضارة و سياحة*. تاريخ الاسترداد 15 جويلية, 2020، من فايس بوك: http://m.facebook.com/groups/benisnouss/permalink/128815110463366/1

16-عدلي أبو طاحون. (1997). علم الاجتماع الريفي. الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.

17-عمار هلال. (1995). أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر. الجزائر: الطباعة الشعبية للجيش.

18-كحول عباس. (2013). زوايا الزيبان العزوزية،مرجعية علم وجهاد،بسكرة،الجزائر،2013. بسكرة، الجزائر: دار علي بن زيد.

19-لجنة الأوراق و السكريتاريا. (15-17 ديسمبر 2011). المؤتمر العالمي للقران الكريم و دوره في بناء الحضارة الإنسانية،بمناسبة مرور 14 قرنا على نزوله (المجلد الكتاب الثاني). (جامعة إفريقيا العالمية،المركز الإسلامي الإفريقي، المحرر) الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، السودان.

20-مؤسسة المنتدى الإسلامي. (1417). المدارس و الكتاتيب القرآنية،وقفات تربوية و إدارية. (مؤسسة المنتدى الإسلامي، المحرر) الرياض.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

21-محمد رابح فيسة. (2016). المساجد الريفية و عمارتها بتلمسان(قري بني سنوس نموذجا). (كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم التاريخ و علم الآثار،جامعة تلمسان، المحرر) السبيل،مجلة التاريخ و علم الآثار و العمارة المغاربية ، 01 (01)، الصفحات 03-21.

22-مختارية تراري. (ماي, 2001). التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر ،في منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة, Insaniyat / إنسانيات, العدد 14-15،ماي-ديسمبر، 2001. إنسانيات ، 02 (14).

23-مصطفى مسلم، و محمد فتحي الزغبي. (2007). الثقافة الإسلامية ، تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها، عمان، الأردن: إثراء للنشر و التوزيع.

24-معروف بلحاج. (2007). العمارة الإسلامية،مساجد ميزاب و مصلياته الجنائزية (الإصدار ط 01). الجزائر: دار قرطبة.

25-نجاة بن شراط. (2011). حرفة الحصير في منطقة بني سنوس ،مذكرة ماجستير في أنثروبولوجيا التنمية . تلمسان، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،قسم التاريخ و علم الآثار،جامعة تلمسان، الجزائر.

26-ياسر محمود. (بلا تاريخ). المسجد أنوار وادوار. تاريخ الاسترداد مارس, 2019، من إسلام اون لاين: .www.islamonline.net/arabic/daawa/2002/08/article60.stm

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الملاحق:

المسجد العتيق قرية أولاد موسي

المسجد العتيق "تافسرة

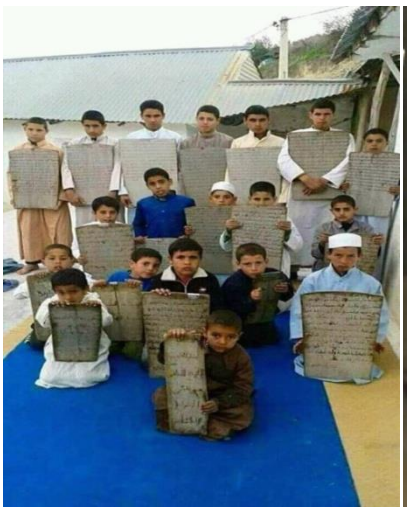

العلامة سي احمد بن يعقوب (سي احمد بلفقيه)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

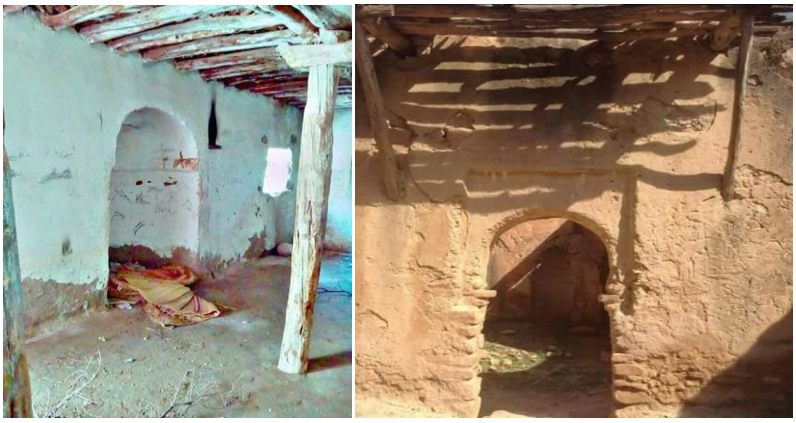

مساجد عتيقة

فضاء مسجد أولاد موسى محراب مسجد دشرة "أغراون"ببني حمو القديمة ويرجع تاريخه إلى 5 قرون خلت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طلبة الكُتّاب القرآني

ألواح الكتابة و المحاية(مكان محو الألواح بالصلصال)